

الأساس هي الطب النفسي الافتراضات الأساسية: الفصل الخامس:

ملفه اضطرابات الوعي

ماهية الوعي (6)

متاهة الوعي، والتطور

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD18515.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2015/05/18
السنة الثامنة - العدد: 2817



قبل أن أستطرد في فحص ما يمكن فحصه من هذا المسمى "الوعي"، كنت قد وقفت مع نفسي وقفة ليست قصيرة أتساءل:

هل أبدأ بما سبق لي أن أشرت إليه من واقع خبرتي وتسلسلها كما ورد في نشرات الإنسان والتطور على الأقل، ثم أدمعها بما تيسر لي من فحص الكتاب الذي بين أيدينا وهو يدعمها بالمناسب من علم حديث، إذ يقتحم تلك الوصلة بين المعرفة المباشرة ([1]) في خبرات التصوف وبين الطبيعة الحديثة؟ أم أبدأ بما جاء في هذا الكتاب، ثم أذكر كيف اتفق مع ما وصلني في خبرتي (وكيف اختلف أيضاً معها)؟

بصراحة قلت أرجع إلى عمنا جوجل لعله يزودني بما يساعدنا من رأى ونقد لهذا الكتاب بوجه خاص، وللفكر التطوري عامة (بما في ذلك الطب النفسي التطوري، وعلم النفس التطوري، ..إلخ)،

بكل أسف، وبكل ألم أيضاً، وبأقصى ما عندي من صبر واستطلاع، رحت أحتلم ما وصلني عبر هذا المصدر الهام من سخرية ونقد ورفض وشجب لكل ما خطر لي، ليس فقط في مسألة الوعي، وإنما في كل ما يمثل ما أنتمى إليه من فكر تطوري، وخبرة في الإدراك، وتظير في الوظائف النفسية وخاصة الوجدان، وما ترتب على كل ذلك من فروض وتطبيقات عملية إكلينيكية أساساً.

برغم أنني كنت أعرف بعض ما ينتظرني من هذه المحاولة نظراً لسابق متابعتي لرفض الفكر التطوري برمته من أغلب من يصرون أنهم هم العلماء دون غيرهم، وخاصة رفضهم لـ..تشارلز داروين" وبدرجة أقسى وأعتى لـ.. "إرنست هيكل"، إلا أنني كنت أتصور (أو أتمنى) أن يكون هذا الهجوم قد خف ولو قليلاً، بعد أن جرت هذه المحاولات لربط بعض هذا الفكر التطوري، والمعرفة المباشرة، بالنظريات الأحدث في الطبيعة والميكانيكا والرياضة الحديثة (الكوانتية)، إلا أن ما وجدته كان عكس ما تصورت، فالهجوم يتزايد، والتسخيف والتهوين والإبعاد يتضاعف.

إن فكري، بما في ذلك النظرية الإيقاعية التطورية Evolutionary Rhythmic Theory، قد تشكل من وعى الممارسة استهداء بنظرية داروين بدرجة محدودة، ولا مارك بمساحة أوسع، ولكنها تدعمت بدرجة أدق وأشمل وأوسع من إبداع وكشوف إرنست هيكل ونظرية الاستعادة Recapitulation Theory (القانون الحيوي Biolgenic Law) بالذات، وقد سمحت

إن فكري، بما هي ذلك النظرية الإيقاعية التطورية Evolutionary Rhythmic Theory، قد تشكل من وعى الممارسة استهداء بنظرية داروين بدرجة محدودة، ولا مارك بمساحة أوسع، ولكنها تدعمت بدرجة أدق وأشمل وأوسع من إبداع وكشوف إرنست هيكل ونظرية الاستعادة Recapitulation Theory (القانون الحيوي Biolgenic Law) بالذات

أن هذه النشرة (الإنسان والتطور) قد أتاحت لي أن أسجل خبرتي دون وصاية ملاحظة ممن يقبلون الصفحات والأنابيب أكثر مما يقبلون وعى البشر ويواكبون أزمتهم وآلامهم

لنفسى، من واقع خبرتى بما فى ذلك الاستعمال الانتقائى للعقاقير العظيمة (النيورولبتات) وأيضا توقيت استعمال علاج "إعادة تشغيل المخ" بما أسميته "تنظيم الإيقاع" [2]، كل ذلك سمح لى بتوسيع القياس على نظرية الاستعادة حتى شمل النبص الحيوى فى كل المجالات، والكيانات، والأزمنة، من أول ما تحت الذرة حتى دورات الكون المجهولة.

الآن، وبمجرد زيارة عابرة لموقع واحد بحثا عن نقد كتاب مهم، أكتشفُ مجددا ما كنت أعرفه جيدا، وهو أن هذه النشرة (الإنسان والتطور) قد أتاحت لى أن أسجل خبرتى دون وصاية ملاحقة ممن يقبلون الصفحات والأنابيب أكثر مما يقبلون وعى البشر ويواكبون أزماتهم وآلامهم.

اليوم أعترف أننى حين رحمت أبحث عن بعض ما يؤيدنى للدخول فى شرح مستويات الوعى، بدءاً من دانيال دينيت (الفيلسوف الداروينى البيولوجى الراسخ) انطلاقا من كتابه "أنواع العقول" [3]: وجدت الرفض والشجب والشطب والسخرية لفكرة الاستعادة أساسا (التي هى أساس فكرى التطورى، ومن ثم علاقتى بمستويات الوعى، مع الرفض لفكرة التطور أصلا، ثم لأى ربط بين قنوات المعرفة وبعضها، وكانت العناوين والأبجدية التى استعملوها للقيام بواجب الشجب والرفض جديدة على بالنسبة لبعضها على الأقل، مثل: Debunking وتعنى "فضح" و"رفض" حتى refuted وتعنى "ضحد"، مرورا بـ discredited وتعنى "فقدت مصداقيتها" ..إلخ

طيب!! بالله عليكم كيف أمضى بعد ذلك وقد شجبوا أول خطوة وأشهر خطوة وأجسم (من الجسمامة) خطوة، تلك الخطوة التى تقول "إن الأنتوجينا تعيد الفيلوجينا"، فهم يرفضون من حيث المبدأ أن النمو الفردى يعيد مراحل تطور الحياة (الأحياء) كلها، فماذا بالله عليكم أتوقع أن يكون رفضهم لكل مستويات "الاستعادة" التى بنيت عليها فكرى التطورى من واقع الممارسة، التى أوصلتنى إلى أن كل المستويات، من أول ما تحت الذرة حتى تاريخ تطور الحياة والأحياء، وهى فى نبض مستمر متواصل متناغم فى حالة السواء والإيمان؟ وفى تصادم وتمزق وتضارب فى حالة نشاز المرض.

أنا أكتب الآن فى "مناهة الوعى"، وحسب ما وصلنى من الخبرة وتسلسل الجهاد المعرفى الذى ورد فى نشرة أمس، والتى أكررها الآن دون حرج، مضيفا أهمية ارتباط هذا المنهج بتقافتى التى هى إيمانى التى هى دينى التى هى لغتى التى هى إنسانيتى، أكررها - مرة أخرى- بعد تعديل طفيف جدا توضيحا لموقعى، ولزوم المتابعة:

مرحليا: استطيع أن أقدم الطريق الذى سلكته، وأسلكه، حتى الآن كالتالى:

من الخبرة ← إلى ← الرؤية،
ومن الرؤية ← إلى ← المعرفة،
ومن المعرفة ← إلى ← الممارسة،
ومن الممارسة ← إلى ← الفروض،
ومن الفروض ← إلى ← العلم،
ومن العلم ← إلى ← النقد،
ومن النقد ← إلى ← الوقفة،
ومن الوقفة ← إلى ← واحدية المعرفة،
ومن واحدية المعرفة ← إلى ← <<
خبرة جديدة،
وهكذا.....

كيفية أمضى بعد ذلك وقد شجبوا أول خطوة وأشهر خطوة وأجسم (من الجسمامة) خطوة، تلك الخطوة التى تقول "إن الأنتوجينا تعيد الفيلوجينا"

هم يرفضون من حيث المبدأ أن النمو الفردى يعيد مراحل تطور الحياة (الأحياء) كلها

ماذا بالله عليكم أتوقع أن يكون رفضهم لكل مستويات "الاستعادة" التى بنيت عليها فكرى التطورى من واقع الممارسة، التى أوصلتنى إلى أن كل المستويات، من أول ما تحت الذرة حتى تاريخ تطور الحياة والأحياء

والآن: ما علاقة ذلك بالوعي، وهل ما وصلنى من خلال هذا المنهج يمكن أن يساعد فى الخروج من متاهة الوعي بفهم يساعد فى سبر غور الطبيعة البشرية وفى نفس الوقت فى الممارسة العملية؟

نبدأ بانبهاري بالعنوان الفرعى لكتاب دانيال دينيت "أنواع العقول" العنوان الفرعى يقول: نحو فهم للوعي، Towards understanding consciousness وفى نقدى لهذا الكتاب فى الندوة التى أشرت لها فى نشرة أنواع العقول (نشرة 2008/1/2) وإلغاء عقول الآخرين" الطريق إلى فهم الوعي (حول نفس الكتاب) (نشرة 2007/12/25) أنواع العقول وتعدد مستويات الوعي، رحبت أراذف ما أسماه دينيت العقل، وأتلقاه على أنه "مستوى منظومة الوعي"، وبالتالي كدت اصف كل مستوى يعتمل بداخلنا من الأحياء (وهو ما زال داخلنا حسب إرنست هيكل) ويسميه دينيت "عقلاً" أصفه على أنه "مستوى منظومة وعى"، وتتصاعد منظومات الوعي حسب مراحل النمو، ونحن - البشر - بصفتنا نقف أعلى الصف مازلنا نحتويها جميعاً.

قبل ذلك، وفى أوائل السبعينات، حين انبهرت بحالات الذات التى وصفها إريك بيرن فى نظريته التحليلية التفاعلية Transactional Analysis، كنت أعامل ما أسماه بيرن "حالة الذات" Ego State على أنها "مستوى منظومة وعى هادف"، لكنه ليس بالضرورة هادفاً على مستوى الشعور، وحين وصلت إلى ما وصفه إريك بيرن على أنه من صنع "دقات" النمو Strokes التى تخلق "وحدات ذات" Ego Units فرجت بالتعدد الذى لم يعد يقصر نظريته على حالات: "الطفل" و"الراشد" و"الأب" كحالات الذات ثم إنى قنعت بترادف وحدات الوعي هذه، هى حالات الذات، تحت مسمى "حالات العقل Mental States" بأبجدية العلم المعرفى العصبى.

وحين رحبت أراجع عصور الإنسان الثمانية [4] لإريك إريكسون، وصلنى أن كل أزمة نمو وصفها إريكسون هى استعادة لكل المراحل السابقة، ثم انطلاقا لما يليها، لكننى أضفت أن هذه الأزمات ليست قاصرة على فترات العمر التى ذكرها إريكسون، بل هى - غالباً - مصاحبة لكل إعادة ولادة فى أزمات النمو عامة، سواء فى النمو الزمنى بالسنين أو النمو الإبداعى حسب نوع الإبداع، كما أنها موجودة أيضاً فى أزمات الولادة المجهضة والفاشلة، أعنى محنة أزمة إعادة الولادة مع الإجهاض فى خبرة المرض النفسى حتى الجنون.

وحين رحبت بمراحل النمو من مدارس "العلاقة بالموضوع" (الموقف الشيزيدى فالبارنوي فالأكتنابى)، رفضت أن أرجع كل هذا التثبيت لموقف الأم فى الشهور الأولى - كما تزعم تلك المدرسة - لكننى قبلت الفكرة الأساسية لترتيب تطور المواقف، ذلك أننى - من واقع الممارسة استبعدت أن يكون لتأثير موقف وسلوك الأم كل هذا الأثر الممتد، واعتبرت أن الأم ما هى إلا بلغة التطور وفكرة الطبع [5] إلا "مطلق" releaser لما هو بداخلنا، وما ولدنا به هو مرتب بهذا الترتيب التطورى:

(1) مرحلة أحادية التواجد بلا حاجة إلى آخر ربما مرحلة الخلية الواحدة،

ثم

(2) مرحلة الكر والفر فى الغابة،

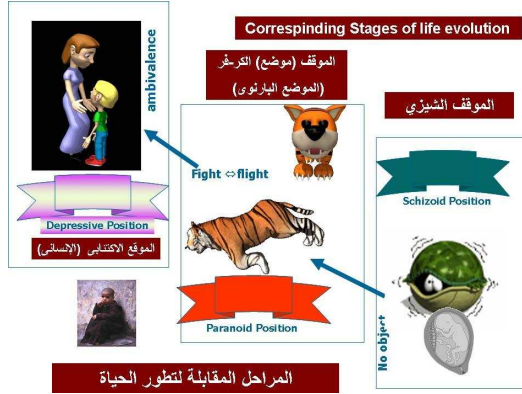
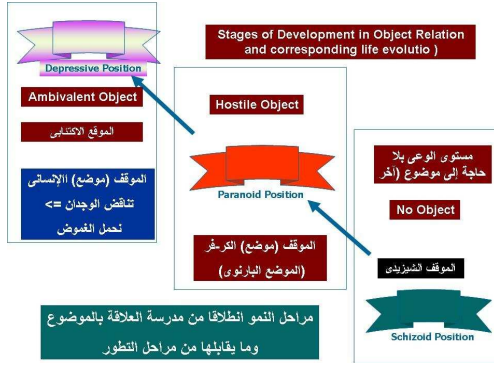
إلى

(3) فترة تناقض الوجدان فتحمل الغموض عند الإنسان.

حين رحبت أراجع عصور الإنسان الثمانية [4] لإريك إريكسون، وصلنى أن كل أزمة نمو وصفها إريكسون هى استعادة لكل المراحل السابقة، ثم انطلاقا لما يليها

أضفت أن هذه الأزمات ليست قاصرة على فترات العمر التى ذكرها إريكسون، بل هى - غالباً - مصاحبة لكل إعادة ولادة فى أزمات النمو عامة، سواء فى النمو الزمنى بالسنين أو النمو الإبداعى حسب نوع الإبداع

حين رحبت بمراحل النمو من مدارس "العلاقة بالموضوع" (الموقف الشيزيدى فالبارنوي فالأكتنابى)، رفضت أن أرجع كل هذا التثبيت لموقف الأم فى الشهور الأولى



واعتبرت أن لكل موضع position موقف من هذه المواقف ([6]), مستوى وعي كامن، أطلقته الأم (فالأسرة والمحيطين) الواحد تلو الآخر، ودعمته بما هي جاهزة لتدعيمه (من تاريخها الحيوي أيضا الذي هو تركيبها النفسى فى نفس الوقت)، حتى مرحلة النضج المفتوح النهائية بهذا التتالى، وهذه الخطوات موجودة دائمة وجاهزة لإعادة والاستعادة طول الوقت طول العمر، علما بأن كل موقف من هذه المواقف هو أيضا مستوى منظومة الوعى له:

(1) غائيته ولغته ودوره التبادلى فى الحياة العادية، و:

(2) دوره الجدلى فى النمو، و:

(3) دوره النشاط فى المرض.

أتوقف هنا مضطرا لأننى كنت أعرج إلى نظريتي بأكملها ، ويبدو أن الأوان لم يحن بعد، لكننى أكتفى بعرض الأشكال القياسية التى سوف أرجع إلى شرحها عند تقديم النظرية، والتى قد أستعين بها لاحقا ونحن نحاول التعرف على الوعى.

الأصل والقياس المتدرج

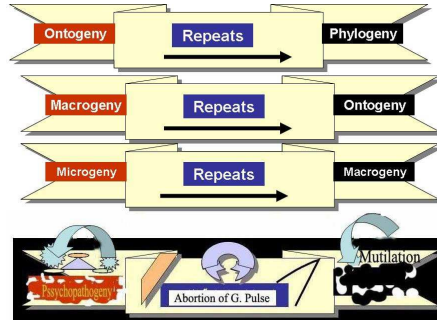
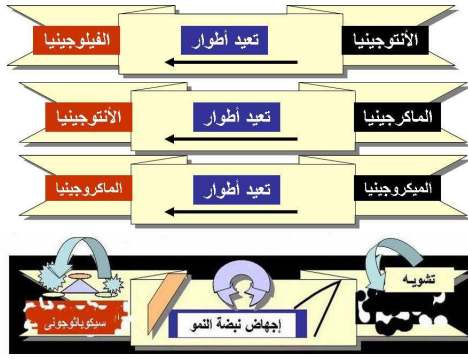
القياس الذى وصفته من واقع الممارسة يقول:

كما أن النمو الفردى (الأنتوجينى) يعيد تاريخ تطور الحياة والأحياء (الأنتوجينى)، فإنه يمكن اعتبار، وملاحظة، كيف أن كل مرحلة نمو (وهى التى تبدأ بما يسمى أزمة نمو) تعيد نفس الأطوار، وعلى ذلك - كمثال- فإن أزمات النمو (وقد أسميتها الماكروجينيا (macrogeny) التى تميز وتحدد العصور الثمانى للإنسان Eight ages of man لإريكسون إنما تستعيد تاريخ الفرد ومن ثم تاريخ الحياة وهكذا باستمرار ولكن - طبعاً- على مقياس أقصر وأخفى.

القياس المتصاعد

أننى - من واقع الممارسة استبعدت أن يكون لتأثير موقفه وسلوك الأم كل هذا الأثر الممتد، واعتبرت أن الأم ما هى إلا بلغة التطور وفكرة الطبع ([5]) إلا "مطلق" releaser لما هو بداخلنا

كما أن النمو الفردى (الأنتوجينى) يعيد تاريخ تطور الحياة والأحياء (الأنتوجينى)، فإنه يمكن اعتبار، وملاحظة، كيف أن كل مرحلة نمو (وهى التى تبدأ بما يسمى أزمة نمو) تعيد نفس الأطوار



إن أزمنة النمو (وقد
أسميتهما الماكروجينيا
(macrogeny) التي تميز
وتحدد العصور الثمانية
للإنسان Eight ages of
man لإريكسون إنما
تستعيد تاريخ الفرد ومن ثم
تاريخ الحياة وهكذا باستمرار

ثم تنتقل مغامرة القياس إلى أن نبضات الإبداع والنمو الأقصر فالأقصر، وهي ترجع في قصرها حتى تصف مجرد "ولادة فكرة" ما، وقد استعرت لها اسم الميكروجينيا (microgeny [7])، فهي إنما تشير ليس فقط إلى ولادة الفكرة، بل إلى مراحل التغيير النوعي الشديدة القصر البالغة الدقة في الاختلاف النوعي في العلاج الجمعي مثلا،

وبقياس أصعب وأكثر مغامرة لكنه يساير نفس المبدأ رحلت أفسر إمرضية الأمراض النفسية وخاصة الذهان بأنها ليست إلا إجهاض لنبضان النمو، وأسميت نبضة النمو المجهضة "السيكوباتوجينيا Psychopathogeny"

إصرار برغم ضعف الدفاع

وأنا أسترشد بعباء عمنا جوجل كما بدأت هذه النشرة وحين وصلني هذا الكم الهائل من الرفض والشجب بل والضد (!!!) حتى "التجريس" [8]، طبعا بأدلة علمية قوية "جدا"، (!!!) بذل فيها المهاجمون جهدا لا بد أن يشكرُ بعضُهُم بعضاً عليه (!!!) كما يفعل أصحاب أي دين مغلق، تصورتُ أيا منهم وهو يتصدى لهذه الفروض والقياسات التي أقدمها، ولم أجد به حاجة إلى كل تلك الأدلة التي أتى بها ليرفض إرنست هيكل Ernst Haeckel ونظريته في الاستعادة، ولا أنا واجد عندي ما أذفع به عنها إلا ما ذكرت أمس وكررتَه في بداية هذه النشرة، وتزيدني الخبرة والنتائج ونفع المرضى إصرارا على المضي قدما.

وبعد

أخلص من هذه الاستطرادة الواجبة إلى أن محاولة فهم الوعي، هي محاولة فهم الإنسان بالطول وبالعرض، في الصحة والمرض، في الإبداع والنمو طول الوقت، وهذا ما نتمنى أن ندعمه من سابق (ولاحق) عرض خبرتنا جنبا إلى جنب مع ما يتيسر من دعم مباشر وغير مباشر من المعلومات الأحدث فالأحدث من العلوم والمعارف، ومحاولة التكافل بينها.

[1] كنت قد أسميت هذه النوع من المعرفة: "المعرفة الكلية"، تجنبنا - ما أمكن - لاستعمال كلمة "التصوف"، إلا أنني عثرت على تعبير يعتبر أدق وربما أقرب وهو ما أسماه " بول ديفيز" مؤلف كتاب الطريق إلى الرب (الاقتراب من الله" بحث فى أصل الكون) "المعرفة المباشرة"، والعهدة على المترجم المتمكن منير شريف، مراجعة: عبد الرحمن الشيخ - المركز القومى للترجمة - العدد: 1482- سنة 2010، واسم الكتاب بالإنجليزية **The Mind of God 1992**.

[2] - Rhythm Restoring Therapy ويشاع عنه اسم خاطئ سىء السمعة "الصدمة الكهربائية"
[3] - Kinds of Minds Towards Understanding of Consciousness Daniel C.
1996 Dennet الكتاب المترجم صادر عن "المكتبة الأكاديمية" ترجمة د. مصطفى فهمى إبراهيم، نشر بعنوان "تطور العقول!!" القاهرة 2003.

[4] - Eight ages of man

- د. يحيى الرخاوى "أزمات النمو من منظور الطب النفسى التطورى مع إشارة خاصة للعلاج الجمعى" الندوة العلمية دار المقطم للصحة النفسية - بتاريخ 3 مايو 2013

[5] - imprinting

[6] - أفضل اليوم أن أسميها موقف attitude or disposition وليس موضع Position لتساير فكرة النبض الحيوى المستمر
[7] - وهو الاسم الذى بتدعه فرنر Werner واستعاره سيلفانو أريتي فى كتابه الذات داخل النفس Intra-psyhic self
[8] - هذه الكلمة من عندى جماع ما وصلنى من هجوم عشوائى

*** **

الأساس فى الطب النفسى الافتراضات الأساسية:

الفصل الخامس:

ملفوف : الوجدان و اضطرابات العواطف

اصدار حسب المجاور لنشراته الإنسان و التطور

(الإصدار التاسع)

خريف - شتاء 2014 / 2015

بروفيسور يحيى الرخاوى

rakhawy@rakhawy.org

mokattampsyh2002@hotmail.com

*** **

ارتباط التعميل (للمشاركين)

http://www.arabpsynet.com/pass_download.asp?file=1002

ارتباط الفهرس و الفصل 1-2 (تعميل حر)

www.arabpsynet.com/Rakhawy/eB9/eB9YRCont&Chap1-2.pdf